ولذلك، فلقد اصبح ملحوظاً في الادب العبري، في نهايات القرن التاسع عشر، ميل جديد نحو العناية بالنفس اليهودية، وصراعاتها الداخلية، واشكال معاناتها في سبيل التحرر النهائي من العقبات الداخلية الموروثة، والتي تعترض سبيل الاندماج التام في حياة الشعوب الاوروبية.

حقيقة، ان السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر قد شهدت مولد الافكار «القومية اليهودية»[٣] لتحل، كشلل جوهري للتمرد، محل الشكل الديني السابق المتمثل في فكرة المسيح المنتظر. وحقيقي، كذلك، ان شيوع الافكار القومية كان احدى ثمار نضال حركة الهسكلاه، عندما عرضت اليهود لهذه الافكار التي كانت سائدة في المجتمعات الاوروبية. غير ان صراع النفس اليهودية، مع ذلك، ضد الموروث الديني والاجتماعي الذي كان يحجبها عن مخالطة العالم الواسع، كان مستمراً. وهذا الصراع، واشكاله الادبية، هو موضوع هذه المقالة.

قبل ان نعرض للاعمال الادبية لدى الاديب الذي اخترنا اعماله الكاشفة عن هذا الصراع وجوانبه، فاننا نرى من الضروري تقديم وصف عام لهذه المرحلة الادبية، وما تميزت به من خصائص، ليكون هذا الوصف نوعاً من التنوير والتقديم لاعمال هذا الاديب، وهو دافيد فريشمان.

خصائص الادب في المرحلة التالية لمرحلة الهسكلاه

يقدم البروفيسور مئير واكسمان وصفاً عاماً للخلفية المعيشية والثقافية التي نشأ فيها ادب الاحياء القومي، او ادب ما بعد الهسكلاه كمانفضل ان نسميه، نظراً لعدم تعلقه، ككل، بالفكرة القومية، فيقول: «يتميز الادب العبري في الفترة التي تبدأ بعام ١٨٨٠ بشخصية مركبة ومتنوعة، وهو يمثل العديد من التيارات والاتجاهات. ولا تختلف الاعمال التي تدخل في نطاق الفن القصصي عن الشخصية العامة لهذا الادب. فهي، في الحقيقة، تمثل ادباً اكثر ما يكون تعبيراً عن التنوع، ذلك لأن هذه الاعمال الادبية تمثل فناً خلّاقاً يعد بمثابة وعاء للتعبير عن الروح البشرية ذات الافق الواسع الذي يستوعب تبايناً وتغايراً والواناً تختلف حسب الميل الفردي وشخصية المؤلف.

«ولذلك فانه من الصعب بمكان على مؤرخ الادب، او الناقد، ان يصنف النتاج المتنوع تبعاً لنماذج ومدارس، او ان يقسم الكتاب كأتباع لهذا التيار او ذاك، على الرغم من ان هذا التصنيف يتم، عادة، في الاداب العامة التي تتطور وتنمو تحت ظروف طبيعية. ذلك ان هذا النمط من الانتاج الادبي الذي نتناوله بالبحث، والذي يزيد، من حيث الكم، على ادب فترة الهسكلاه مرات عدة، قد نما في ظل ظروف استثنائية، بل وغير طبيعية. فلم تكن هناك دائرة محددة من القراء التي كان يسعى الكتاب الى اشباع اذواقهم، ولم تكن هناك تقاليد ادبية؛ وذلك لأن هذا الادب كان بدأ يجنح الى الانفصال عن التقاليد الادبية التي شاعت في فترة الهسكلاه ولم تكن هناك منافع للنقد، وذلك لأن النقد الحقيقي لم يكن قد نما بعد. كذلك، لم تكن هناك، بوجه عام، مجموعة من المبادىء او الاهداف التي يمكن ان ترشد الكتّاب او التي يمكن ان يجتهدوا لتحقيقها في قصصهم او رواياتهم. لقد كان هذا الانتاج طرازاً من الادب يجرى خلقه في جو مشحون بالتيارات المختلفة، ولكن دونما جذور في حياة طبيعية راسخة.

«وبالاضافة الى هذا كله، فلقد كان هذا الادب مركباً، نتيجة لحقيقة معينة وهي حقيقة المثقف اليهودي الذي كان، عادة، خاضعاً لتأثير ثقافتين؛ لأنه كان، عادة، يتقن لغات عدة.